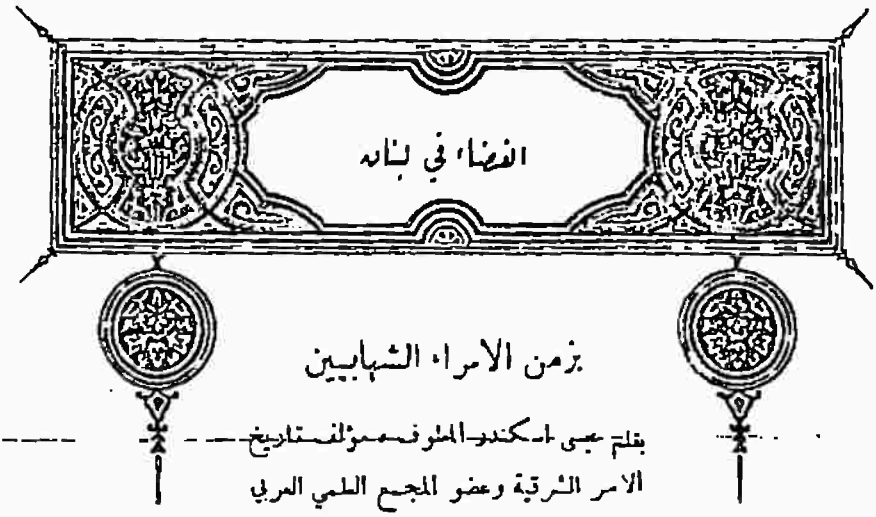

٣

الشيخ احمد الغرّ[1] البيروتي

هو من اسرة سنية اسلامية في بيروت . ولد فيها سنة ١١٩٨ هـ (١٧٨٣م) وتوفي سنة ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧ م) . ولم يذكره العلامة المرحوم الاب لويس شيخو اليسوعي في « تاريخ ادباء القرن التاسع عشر » وقد مرت ترجمته في مجلة المشرق لهذه السنة (٣١ : ١-٤) فازيد عليها الآن بعض ما عرفته عنه غير ما ذكر هناك :

من اسرة الشيخ احمد نسيبه الشيخ علوان الغرّ ، قاضي بيروت ايضاً ، وقفتُ له على قصائد ومقاطيع في بعض المجاميع المخطوطة منها قوله من قصيدة بعنوان «يا حبّ» وهي ثلاثون بيتاً كرر في اول كل بيت كلمة ذلك العنوان ، ومنها في القضاء قوله :

يا حبّ ، كم ساءلوا «الافتا» بسفك دمي ... اجبتَ بالحلّ في قتلي وافتاني
يا حبّ ، يا «حاكم» في قتل مدنفه ... وصبّه ، أصغِ لي ، واقبل «دعواني»
يا حبّ ، لي «بينات» ان اقدمها ... لحاكم العشق ، ان العشق انشاني ،
يا حبّ ، حزني ، انيني ، سكرتي ، ولهي ، ... رقي ، سهادي ، وتعذيبي ، واخفاني
يا حبّ ، ذلي ، سكوني ، لوعتي ، حرقي ، ... ذوبي ، انتحالي ، وافرادي ، وارواني
يا حبّ ، وجدي ، جنوني ، صبوتي ، ارقي ، ... شجوي ، فنائي ، غمومي ثم اغناني

---

١) ويقال الاغرّ ايضاً كما رأينا في مظانّ كثيرة .

يا حبّ ، لي بينات ان تكن نبلت ، فاحكم بوصلي وعزي بين احيائي
يا حبّ . او ان تكن في شرعكم نبيت ، فاحكم بقتلي وتشتيتي واشقائي

وقوله من قصيدة ثانية :

حكمتم في فؤادي طبق ما أمروا ، جاروا به ، غيرهم لم ارضَ ، او عدلوا
هم سادتي ، وانا في الحب عبدهمُ ، فما اعتراض بما في عبدهم فعلوا

وقوله من قصيدة اخرى مختتماً :

وما تشرف في سامي مديحك « علوان الاغرّ » بنظم الدر في الكلم
وما بشرتنا غالي صفاتك قد غالى الغريض بمك البدء والختم

وسنة ١٨٧٣ في نيسان توفي الشيخ مصطفى الغرّ بن السيّد احمد المذكور ، قاضي بيروت ومفتيها قديماً ، عن نحو ٧٠ سنة ، وكان من اعضاء مجلس الادارة في بيروت ، وخدم الحكومة نحو ٣٠ سنة .

اما ما نعرفه عن الشيخ احمد الغر المذكور فهو :

انه كان شاعراً وله منظومات منها تخميسه للبيتين في عكاء وهو :

عكّاء شرّ للبرية قد سرى اذ ذاق ساكنها الهلاك الاكبرا
قد اخبر الشعراء صدقاً حيدرا « قالوا بأن جنساً تحت الثرى
مالي اراها فوق عكا تضرمُ »

دار الشقاوة ليس فيها نعمةٌ بل ليس في قلبيّ ذوجا رحمةٌ
فخذ الدليل وانه لك حجةٌ « لو لم تكن دار الشقاوة عكّةٌ ،
ما اطرحها بالشرار جهنم . »

وكانت بينه وبين شعراء عصره مساجلات ومراسلات منها قول المعلم نقولا الترك في مدحه بديوانه المخطوط عندنا (ص ٢٦٨)

فاجابه الغرّ بهذه القصيدة سنة ١٢٣٢ هـ (١٨١٦ م) قال في مطلعها (ديوان الترك ، مخطوطتنا ، ص ٢٦٩) :

الطرف نمارنا ، والريق صهباء ، والثغر كاس الطلا يشفى به الداء

الى ان قال :

كم بتّ من هجر « بنت العُرب » في غسق وكم بدت لي « بنت الترك » اضواء
هو الذي لا يجارى في بلاغته وهل تجاري جواد الخيل عرجاء

«نون» الثالثة، «قاف» في القريض كذاء «واو» الوفاء، و«لام» اللطف زهراء
وبعد ذا «الف» جاءت لتكملة فاحفظ «نقولا» لها في الفكر اسراء

وختمها بقوله :

ودم بعيش هنيّ ما سدا قمرٌ وما تغنت على الافنان ورقاء
ما احمد الفرّ يشدو ، وهو بنظمها ، «الطرف خارنا والريق صهباء»

واما قصيدة نقولا الترك في الفر فمنها (ديوان الترك مخطوطتنا ص ٢٦):

خوّلت مدحتك المنيفة عزة حسدت معالي افقها الجوزاء
ورقيت بالفقه المتضد رتبة لم ترقها من قبلك القدماء
بيروتنا بكم غدت تحدى الثناء وتجلك الصغراء والكبراء

وختمها بقوله :

فسقى الحيا سنة انار ثناءهُ فهي التي تأريخها الغراء
١٢٣٣ هـ

وقال الشيخ ناصيف اليازجي يمدحه من قصيدة :

شاعر ينظم القوافي عقودًا دونها في الرؤوس عقد الاكلّه
وهو قاضٍ ، يقوم بالقسط بين الناس قد احكم المنصاب وفصله
راحمٌ في سوى القضاء، رؤوفٌ يبتغي عفوه ، ويبصر عدله
صحّ نحو ابن حاجب عنده ، واعقل خطّ ابن مقلة اي علّه
والفتاوى لاحمدياته الغرّاء لا خيريات صاحب رمله (١
طالما طال فاصلًا بيراعٍ تشتهي ان تكون كلٌّ فصله
سوّد الطرس فاستنار ، فذاك سواد العيون يهدي الاضلّه
يا امام الكرام في خير خراب من الخير خيرهُ لك قبله
انت ندب لهُ التقى سنّة ، والعدل فرض ، والله يعلم نفله

وقال يمدحه من قصيدة ثانية :

خذ ما اردت سوى اغرّ محجّل القى به الشيخ الاغرّ معجّلا
وارى لطائفه التي نبهت بها الشعراء ابيات القريض تغزلا
العالم الصدر الكبير ، العامل البدر المنير ، اللامع السامي العلى
اقوالهُ دررٌ تقلّدها النهى ، وفعاله غُررٌ تقلّدها الطُلى
اجرى من البحر الخضرم لجة ، وألذّ من سلسال دجلة منهلا
واشدّ من زهر الحدائق نضرة ، واجلّ من زهر الكواكب منزلا
يمشي، وقد كثر الوقوف امامه ، فردًا يجرّ من المهابة جحفلا

(١ يريد «الفتاوى الخيرية» للفقيه الشهير خير الدين الرملي من اهل القرن التاسع للهجرة.

واذا اشار الى الكتيبة اجفلت ، فكأن من سمر الذوابل افلا
هو يشغل الاقلام ، وهي بوصفه في الناس قد شغلت فكانت اشغلا

الى غير ذلك مما نقتصر منه الآن على هذه العجالة المؤلمة على ما لهذا الفقيه من الشهرة رحمه الله .

٤

الشيخ شرف الدين القاضي الدرزي

اخبرني كثير من شيوخ الطائفة الدرزية الكريمة ، ومنهم فضيلة النقابة الشيخ حسين حماده ، شيخ العقل الحالي ، ان «آل القاضي» هم اقدم القضاة في طائفتهم ، وهم ثلاثة فروع :

اولهم : آل القاضي الذين قضوا في زمن الامراء التنوخيين ، وبقيتهم الآن في بيصور ، وهم الفخذ الثاني منهم . ولقد اندثر اصلهم الذي هو الفخذ الاول حتى لم نعرف ان لهم بقيّة . ومنهم المشايخ آل امين الدين ، وناصر الدين في عبيه والسمقانيّة وكفرمتى وهؤلاء جميعهم من ذرية الشيخ بدر الدين العنداري ، خال آل تنوخ امراء الغرب . واشتهر من قضاتهم المشايخ عبد الله وبدر الدين وزين الدين الذي بنى «جسر القاضي» على نهر الدفا بين مقاطعتي الشحار والمناصف[1] وهو باقٍ الى يومنا بهذا الاسم .

ومن قضاتهم الشيخ محمود بن منصور الذي كتب على ظهر حجة وقف ما نصّه :

---

(١) قيل ان السبب في بناء ذلك الجسر هو : ان القاضي زين الدين المذكور كان بني طاحونًا في ذلك المكان . وبينما هو يراقب الفعلة رأى صبيّة قروية درزية تريد ان تجتاز النهر الى الجانب الثاني . وكانت المياه متراكمة والنهر هائجًا . فشمرت عن ساقيها ومشت في النهر . ولما توسطت المياه اضطرت الى ان تشمّر ثوابها لئلا تبلل ، فضحك الفعلة من منظرها . فوبّخ القاضي الفعلة واوقفهم عن بناء الطاحون ، وامرهم ان يشيدوا الجسر فوق النهر للعبور عليه . واستدعى فعلة آخرين لسرعة العمل . ونصب له سرادقا بقي فيه واحدًا واربعين يومًا يحث الفعلة على الاسراع . ولم يبرح مكانه حتى تم بناء الجسر فنسب اليه وذلك سنة ٩٦٣ هـ (١٥٥٥ م) . وكان قد تزوج ابنة السيد عبدالله التنوخي من عبيه ، فابتنت حجرة لها في بيصور تعرف باسمها وذلك سنة ٩٦٦ هـ (١٥٥٨ م)

« الحمد لله وحده – عرضت علينا هذه الحجة الشرعية فرأيناها محررة مكتبة وعند المخاصمة بين حضرة ابن محنا بونجم يوسف ناصر الدين وولده ناصر الدين قدم ناصرالدين شهود عدول بحضور والده وشهدوا بصحة هذا الوقف فيلزم العمل بما شرعاً ويمنع من البيع والتفريط قطعاً والحالة هذه والله اعلم »

الختم	حرره العبد الحقير
يا رب يا غفور ارحم	محمود بن منصور
عبدك محمود ابن منصور	م

ومما في حوزة آل ناصر الدين في كفرمتى صك مشترى احد اجدادهم :

«الجناب العالي المكرم الشيخ جمال الدين بن المرحوم الجناب العالي المكرم الشيخ شرف الدين من قرية عين دارة الساكن يومئذ بغربة كفرمتا من قرى شحار غرب بيروت المحروسة من يد يزبك بن حمزة من كفرمتا ثلاثة اصول زيتون بثلاثة غروش وثلث من الفضة الجيدة العددية المتعامل بها يومئذ بدمشق المحروسة . . . وذلك في شهر صفر سنة ٨٠٨٠ (١ وشهد بذلك وكتبه عبد الوهاب ابن ابا (كذا) الجد وشهد بذلك في تاريخه وعنه باذنه وحضوره عبد الملك ابن محمد » (انتهى ملخصاً بالحرف)

وثانيهم : آل القاضي الذين خدموا الامراء المعنيين قضاة . ومسكنهم جباع الشوف ، ثم المختارة . واشهر منهم المشايخ زهر الدين ، ونور الدين ، وعلم الدين ، وآخرهم الشيخ قبلان جد الشيخ علي جنبلاط وبوفاته انقرضوا.

وثالثهم : آل القاضي الذين قضوا للامراء الشهابيين ومسكنهم دير القمر ، ودمشق ، والسمقانية . وبقيتهم الآن في القريتين الاخيرتين ، واشهم للشيخ بدر الدين العنداري الآنف ذكره.

واشهر من قضاتهم الشيخ عبدالله[2] بزمن الامير حيدر الشهابي ،ثاني حاكم في لبنان منهم (١٧٠٦ ١٧٣٢ م) والشيخ محمد والد الشيخ شرف الدين الآتي ذكره بزمن الامير ملحم الشهابي (١٧٣٢–١٧٥٤ م) ثم الشيخ شرف الدين

١) الموافقة لسنة ١٦٦٩ م

٢) سنة ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) كان الشيخ عبدالله القاضي مقيماً في بيصور وكان خاطر الامير بشير الكبير متكدراً عليه لانه من غرض اولاد الامير يوسف فضبط ارزاقه وصادره . فسعى عبدالله باسترضاء الامير بشير واستماله اليه فرفع عنه المصادرة وترك له ارزاقه وعفا عنه .

هذا بزمن الامير بشير الشهابي الكبير (١٧٨٨—١٨٤٠م) وهو اشهرهم نال منزلة كبيرة عند الامير بشير . ولكنه اضطرّ الى عزله وقتله لاسباب رواها الامير حيدر الشهابي الشملاني في تاريخه « الغرر الحسان »[1]

ونحن نروي هذه القصة كما سمعناها من كثير من شيوخ دير القمر ، ومنهم الراوية الفقيه جرجس بك صفا صديقنا ، وهذا ملخصها :

في سنة ١٨١٩ ، على اثر الاضطرابات التي حدثت في لبنان ، سعى الامير بشير بقتل الشيخ بشير جنبلاط فاستخدم لذلك الشيخ شرف الدين القاضي المعروف عند العامة بالشيخ شرّوف ، وكان ينتهز الفرصة المناسبة لذلك . فعرف الشيخ محمد بن الشيخ شرّوف ، بسعاية ابيه بالجنبلاطي ، فوقف لذلك بالمرصاد حتى عرف اسرار المؤامرة وسعي والده بها لينال مقاماً رفيعاً عند الامير بشير . فاخذ محمد يتقرب من الشيخ بشير وينادمه والشيخ يستطلع اخباره موجساً خوفاً من الامير ، وبقي يستنزله الى ان عرف المكيدة التي ينصبها له والد محمد والامير . فاجزل على محمد الصلات حتى تثبت من الخبر . فاراد الجنبلاطي ان يجسّ نبض الامير بشير عدوه . فبعد ان كان يزوره في بتدين بموكب مؤلف من ثمانية فرسان وحاشية زاده بثمانين فارساً وكثير من حشمه . فقلق بال الامير من هذه الاية واحتفى به ، وسأله عن سبب مجيئه بهذا الموكب على غير عادته فقال له الشيخ بشير : « صار يجب ان نأخذ حذرنا » — فقطن الامير وتفاءل قائلاً له : « ولماذا ؟ » — فقال له : « لان الشاعر يقول :

الى الماء يعدو من اغصّ بلقمة الى اين يعدو من اغصّ بماء ؟

فانت ساعٍ بقطع رقبتي » فقال له : « لماذا ؟ » — قال : « اجلب الشيخ شرّوفاً القاضي لتعلم الحقيقة . »

فانتبه الامير الى ان الجنبلاطي اكتشف سرّ المؤامرة ، وارسل فارساً ليجلب الشيخ شرّوفاً من السمقانية ، ورجلاً درزياً من خاصته من دير القمر ليكمن للشيخ شرّوف على الطريق ويقتله قبل ان يصل اليه . ففعل ذلك كما

---

١) طبعة مصر ، ص ٩٤٩ .

امره الامير . وانتظر الجنبلاطي وصول الشيخ شرّوف . فلما طال الوقت ولم يحضر فطن للامر وذهب برجاله مغتاظاً . وكانت هذه الحادثة من اسباب استفحال العداء بين الجنبلاطي والامير بشير .

وكان الشيخ محمد كلما سُئل عن سبب قتل والده شرّوف يقول : لا اريد اذكر هذه القصة لتأثري انني انا سببت قتله .

ويرجّح ان الشيخ شرف الدين درس الفقه على الشيخ عرابي في طرابلس الشام . وذكر الدكتور مخايل مشاقه في تاريخه المخطوط ان الشيخ شرّوفاً كان قاضياً سنة ١٨١١ م وكان الشيخ يعقوب حبيش ، الذي صار بطريركاً مارونياً باسم يوسف ، يدرّس الفقه ويرافع عند شرّوف مع خصم له اسمه الشيخ شمين (لعله من بيت الخازن) الى ان قال بالحرف عن شرّوف :

« وقتله الامير بشير لما كان قاضي دير القمر وكان الشيخ شرف الدين هذا مصاباً بفقد عينه الواحدة وهو من الاذكياء المهذبين ممدوح السيرة غير انه قد وجد من جحي (كذا) الورد فقال فيه احد الشعراء بعد مقتله :

الحق ميزان الرضى في عينين بلا نقط
هل شفت ميزاناً اتى للحق في عين فقط . »

انتهى كلام مشاقه بنصه

وللشيخ شرّوف هذا احكام وتواقيع اذكر منها توقيعه على صكّ بيع شقيق جدّ والدي لابيه طنوس شبلي المعلوف في كفرعقاب (المتن) هذا نصّهُ :

« الحكم يسوغ بموجب هذه الحجة حيث مجراها بعد المحاققة والوفق على الشفعة الحكم بموجبها شرعاً والحالة هذه في شهر جمادى الآخر سنة ١٢٣٣ » (١

علقه الفقير
شرف الدين القاضي

(صورة الختم)

ا

وبعد عزل الشيخ شروف تولى القضاء الشيخ احمد البزري المسلم السني كما سيأتي تحت رقم (٥)

١) السنة هجرية توافقها السنة ١٨١٨ مسيحية

(لها صلة)